٣ قروش

المختار

من

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

عالم واحد - أمم شتى	مجلة « شاتلين » ١
ذخيرة الحكمة	صحيفة « نيويورك تيمز » ٦
يوم تفجرت جزيرة كراكتوا	مجلة « نيشنر » ٨
نوادر مستطرفة	بليت سرف ١٤
من صميم الحياة : الزوجتان	دوروثى كانفيلد فيشر ١٥
كيف تستمتع بضعف الذاكرة ؟	كتاب « متعة النسيان » ٢١
العبقرية : سرها وتنميتها	مجلة « نيوريبليك » ٢٤
الأرنب القطبى	مجلة « ذى أميريكان ميركيورى » ٣٠
الحاجة تفتق الحيلة	ستانلى هاى ٣٣
طبائع البشر	٣٩
عادوا يشقون أجواز الفضاء	« أميركان مجازين » ٤١
أمير الدواجن	مجلة « كنترى جنتلمان » ٤٥
أجربت أن تعمل على أنغام الموسيقى ؟	مجلة « فوربز » ٥٠
مجملات تدور فى رأسه	من كتاب م . م . موسلمان ٥٢
ثياب الامبراطور	هانس كرستيان أندرسن ٦٠
الشخصيات التى لا تنسى : زوجة عبقرى	أوستين استروخ ٤٦
بترين جديد	مجلة « كوليرز » ٧٠
الحرب الخفية بين الرقباء والجواسيس	صحيفة « وشنطن بوست » ٧٢
امتحن زوار دارك	٧٩
الطريق الوحيد إلى إنشاء حكومة عالمية	مجلة « أتلانتك الشهرية » ٨٠
إذا تعبت فكل	مجلة « رتيو أوف رفيوز » ٨٥
مجاهد فى سبيل الله	جون أ . أوبريان ٨٩
لوذاع هوليوود	أندرو ب . هنت ٩٥
مسامرات المختار	٩٦
انتفع بتجاربى : لا تتردد	ستيفان زفايج ١٠٢
شىء لم يكن فى الحسبان	مجلة « ليبرتى » ١٠٤
الحيوان أخو البشر	١٠٧
مختصر أربعمئة مليون زبون	كارل كرو ١٠٩

مايو ١٩٤٦

بعض ما نقرأ في مختار يونيه القادم

• **ابتكر لنفسك عملا :** إرشاد نافع يوجهه أحد كبار رجال الأعمال إلى الشاب الذى يطلب عملا ويجد الأبواب موصدة فى وجهه . مقال يكمل سلسلة « كن سيّد عملك » .

• **هذه هى المجاعة :** تهدّد أمم العالم اليوم مجاعة سوداء . ففى أوربا ١٤٠ مليوناً لا يجدون الكفاية للتبلّغ ، وفى الصين ٨٤ مليوناً ، وفى جنوب آسيا الشرقية ١٣٠ مليوناً ، والهند فى خطر من المجاعة . وهذه مقالة تحرّك النفوس عن مجاعة البنغال ١٩٤٣ — ١٩٤٤

• **آية التجسس الألمانى :** الآن نستطيع أن نروى كيف فضح أخطر سرّ من أسرار التجسس الألمانى فى الحرب : سرّ النقط ، النقط الكثيرة الدقيقة ! والراوية هو أعظم نقّة أمريكى فى الموضوع مدير قسم المباحث فى الحكومة الأمريكية .

• **فيمَ العجلة ؟ :** آفة المدينة الحديثة هو السرعة والتعجل ، فهل تعرف كيف تستمتع بالمعانى الخالدة فى هذه الحياة ، سواء أكنت تقيم فى المدينة أم فى الريف ؟

• **ما الذى تعرفه عن عينك ؟** • **كيف ربينا ابننا فى البيت ؟**

كتابان مختصران

١ • — **كيف تصلح هيئة الأمم المتحدة ؟**

٢ • — **تزوجت حليف المغامرات**

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 33, MAY 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلوزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . پاين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سـوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون

حقوق الطبع ١٩٤٤ محفوظة لريدرز دايجست أسوسيياشن انكور پوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية . ولايجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

السنة الثالثة

المختار

من

ريدرز دايجست

المجلد ٦
العدد ٣٣

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

مايو ١٩٤٦

إن شئون الأمم لا يمكن أن تسوى بصب أشتاتها
فى قالب واحد مستو ، أو إدماجها فى دول أكبر منها .

عالم واحد ـ أمم شتى

ربيكا وست • مختصرة من مجلة "شاتلين"

يعتقد كثير من الناس فى هذه الأيام أن كل المتاعب الدولية يمكن أن تخفّ إذا أدمجت الدول الصغيرة فى العالم فى دول كبيرة . ويكاد منطقهم يكون منطقاً لا يُدفع، فإن الدول هى التى تثير الحروب، فكلما قلت الدول قلت الحروب .

غير أن شر الجرائم الفكرية هى المبالغة فى التبسيط والقول بأن الصعب سهل ، فليس من الميسور استئصال شأفة الأمم الصغيرة وجعلها أجزاء من دول كبرى ، لأنها فى الواقع دول صغيرة ، أو جماعات صغيرة من الناس تعيش فى رقعة صغيرة أقامت فيها لنفسها مدنية صغيرة ، وتولت أمورها ولا تزال تشعر بأنها قادرة على المضى فى توليها . وقد أكسبها تاريخها وخصائصها شخصية قائمة بذاتها، بحيث لا تشعر بمشاركة أى جماعة أخرى مشاركة تجعلها ترضى وتسعد إذا ارتبطت معها فى الحياة ، فإذا تسرّبت فى أمة أخرى كبيرة فإنها خليقة أن تشعر بالظلم، فيعوق هذا سير الدولة الكبيرة ، أو تفقد شخصيتها ، وفى كلتا الحالتين لا تعود كما كانت أيام كانت تحيى حياتها الخاصة .

وهل كان ثمة دولة أجمل وأظرف من الدانمرك ؟ لقد كانت كوبنهاجن بقصرها الذى يرجع إلى القرن الثامن عشر، وبُناها الرائعة الجمال ، أقرب عاصمة فى أوربة إلى الكمال . وكان لها ملك يحب الأطفال ، ويمشى فى الطريق وعليه شِمْلة حمراء ،

ووراءه جمهور من الصبيان الصغار والبنات الصغيرات ، ولكن الدانمركيين لم تكن كل مزيتهم أنهم أشبه بشعوب الأساطير ، فإن فى المدينة أحواضاً تشق أحياءها وتتخللها إلى مدى بعيد، فصارت القلوع ترى فى أواخر الشوارع التجارية ، واختلط البحارة السمر الوجوه بالجماهير ، فأكسبوها سحنة ركاب البحر . وفيما يلى المدينة كانت تبدأ تلك المزارع المنظمة البديعة التى أعانت على اكتشافات زراعية كثيرة ، وتيسرت فيها حياة رضية للفلاحين .

وقد أقام أهل الدانمرك ، بفضل سفنها ومزارعها ، حياة اقتصادية قومية حسنة ، مستعينين بعقولهم وكدهم ، وبذوقهم الذى يتبدّى فى دكاكينهم الصغيرة التى تبلغ مرتبة الكمال فى كوبنهاجن، حيث تعرض الفضيات وأوانى الصينى ، والثياب البسيطة الموتقة عرضاً يتجلى فيه حسن الذوق .

وليس فى الدانمرك غنى واسع الثراء ولا فقير مدقع ، ومعظم الناس عندهم الكفاية ، والحياة مدبرة على مقتضى مواردهم المعتدلة . وليس مما يكلف نفقة كبيرة أن تذهب إلى الريف ، أو أن تركب فى زورق أو تأكل فى مطعم ، أو ترقص فى ملهى . وزيارة هذه البلاد الجميلة أشبه بأن تشرب من كوب قد يكون فيه حيناً عصير التفاح وحيناً شراب الشمبانيا .

ولكن الدانمركيين كثيراً ما يبدون للغرباء مستغرقين فى أنفسهم منطوين عليها ، مولعين بالمراسيم وآداب المجاملة . وهذا هو الأثر الذى يقع فى النفس عادة من رجل وامرأة يحاولان أن يقيما بيتهما ، وأن يجعلا منه جنة لأسرتهما ، وإن لم يكن لهما مال كثير .

والدانمركيون يقومون بمهمة عسيرة ، وهم مضطرون أن يوجهوا عقولهم إليها ، ولا معدى لهم عن أن يضبطوا أمرهم بالجرى على أسلوب مقرر ونهج مألوف . وهكذا تدبر الدانمرك أمورها كدولة مستقلة صغيرة، بحكمة ورصانة ، ولكنها إذا أدمجت فى دولة كبيرة ، فإن أهلها خليقون أن تضيق بهم صدور من يرتبطون بهم ويعايشونهم ، وهم أيضاً خلقاء أن تضيق صدورهم ، وأن تنقلب رصانتهم شكاسة ، فتضيع مزيتهم الفذة التى هى منحة لكل الدول الأخرى .

وإلى الشمال تقع فنلندة، وهى بلاد صغيرة أهلها من ذوى الأجسام المربوعة المدمجة الخلق ، وهم أهل للاعجاب لما قاموا به من الأشياء التى قد يظن البعض أنها مما لا يقوى عليه إلا أهل الرشاقة والهيف . وتمتد

بلادهم إلى المنطقة القطبية ، وهى سلسلة مملة من البحيرات والغابات ، والضوء الأبيض الشمالى يُعْشِى العين عن النظر ، والمدن كابية الألوان ، والأزهار قليلة ، وكل ما تجود به الطبيعة عليهم من إشراقها ، ليس إلا بضعة أغصان خضر فى الربيع ، وبضع أوراق قرمزية فى الخريف .

ولكن الزائر يجد أن الفنلنديين قد اكتسبوا بصراً أحدّ من بصرنا الكليل الذى نستخدمه فى مناطق ألوانها أزهى ومعارفها أبهر . ومتى تعلمنا أن نستعمل عيوننا كما يستعملونها ، فإنا حريون أن نرى جمالا جديداً مبسوطاً أمامنا . وأخلق بأسلوب العمارة الفنلندى أن يكون بِدْعاً وشذوذاً فى بلاد أخرى ، ولكنه الأسلوب الصالح للبلاد وشعبها ، فإن فيه خفة وتنوعاً حيث كان يمكن أن يكون كئيباً مضجراً . ذلك أن الفنلنديين لا ينشدون الجمال وحده فى البناء ، بل طول العمر وحسن المأوى ، وبيوتهم المقسمة إلى شقق ، ومستشفياتهم ومدارسهم ، كانت بمثابة تجارب جريئة فى سبيل قواعد جديدة للانتفاع . وهم نظيفون ، وإذا كان هناك ما يغالون فيه ويشتطون فهو النظافة .

ومع فقرهم استطاعوا أن يأتوا بما لم يأته معظم الأثرياء . وهم يقرأون بنَهَم ، ويعكفون على تحصيل الثقافة الحديثة . وفى هلسنكى أكبر مكتبة لبيع الكتب فى العالم . وأشد الفلاحين عزلة يعرف أن الكتب نافعة ، وهو يضيف إلى الأدب بما ينظمه من الأغانى الشعبية .

وكان الفنلنديون إذا مدح بلادهم مادح يقولون : « إننا نستطيع أن نحسن تدبير أمورنا إذا تركنا وشأننا » ، ولكنهم يعلمون أن هذا خلاف ما كتب عليهم . وقد ثقل على نفوسهم ما يعلمون من أنهم لا محالة متورطون فى الصراع المقبل بين ألمانيا وروسيا ، فلم يروا سبيلا تؤدى إلى احتفاظهم باستقلالهم الكريم ، وكان هذا هو مبعث سعادتهم الوحيد ، فقد قاتلوا فى سبيل الاستقلال دولة السويد عدة قرون ، ثم الروس عدة قرون ، ووجد السويديون والروسيون جميعاً أن الفنلنديين قوم غير خفاف على القلوب ، وأنهم جماعة شكسة فى إمبراطوريتهم ، ذلك أن حلاوة نفوس الفنلنديين وظرفهم رهن بأن تكون فنلندة بلداً صغيراً مستقلا .

وعلى الطرف الآخر من النقيض للدانمرك وفنلندة ، من الوجهتين النفسانية والجغرافية توجد الدول البلقانية . فهنا يكدّ الناس كداً شديداً ليعيشوا ، لأن معظمهم

فلاحون يعمـلون فى أرض غير صالحة ، وفى جو عنيف ، ولـكن مواهبهم تنزع بهم إلى التأمل أكثر مما تنزع بهم إلى العمل وهـذا ينأى بهم عن حسن الترتيب وضبط المواعيد . ويبدو أهل المدن كأنهم شاردون لا يستطيعون أن يوجهوا عقولهم زمناً طويلا إلى شىء ولو كان بناء البيوت مثلا . ولهذا لم تنتشر بينهم المدنية دائماً بسرعة وسهولة ، وهو ما يضيق به صدور الأجانب .

ولـكن أهل هذه البلاد — فى يوغسلافيا وبلغاريا وفى اليونان — يرون فى الحياة رأياً يحيل هـذا العجز الآلى أمراً تافها . فإن الناس يريدون أن يلتهموا كل ما تهبهم الحياة، وهم يقدرون مناظر بلادهم الرائعة، بما فيها من بحور زرق دافئة حول الجزر اليونانيـة وساحل دلماشيا ، ومن النوار البنفسجى القرمزى على أغصان الأشجار ، والأوراق الخضر الذهبية على أشجار الحور التى تشرف على أنهارهم، والقمم الثلجية التى تستعلى على سلسلة جبالهم التى أرستها الطبيعة وأحسنت نحتها . وهم ينشدون الأغانى التى تدور على جمال هذه الطبيعة، ونساؤهم يشرن إلى هـذا فى التطاريز الـكثيرة المعقدة التى يصنعنها على ثيابهن وقمصان أزواجهن ، وإذا خرج الناس يتنزهون فإنهم يرقصون ويغنون كأنما خلت الدنيا من الأشجان ، وإذا حزنوا هبطوا إلى الحضيض الأوهد من الجزع .

وهم يهتمون بالغريب لأنه مثلهم متورط فى هذه المغامرة العجيبة ـ مغامرة الحياة ـ ويصغون إلى تجاربه، ويقصون عليه تجاربهم وهم يشربون النبيـذ ويأكلون السجق المطيّب بالأفاويه . ويبـدون فى إصغائهم وفى حديثهم ، عطفاً عميقاً مصدره حب حقيقى للعالم ، وألمعية مصدرها الإيمان بأن الحذق والعـلم هما أداتان للإعراب عن هذا الحب .

ولـكن هذه الثروة التى تتميز بها الشخصية رهن بحرية هذه البلاد ، وبتمتعها بلا معوّق بالحق فى إدارة أمورها الخاصـة بنفسها . وقد كان بعض الشعوب البلقانية، إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى، داخلة فى إمبراطورية النمسا والمجر ، وكان بعضها الآخر قد انتزع

ولدت سيسيلى إزابيل فيرفيلد فى إيرلنـدة وتعلمت فى أسكتلندة ، وعاشت أكثر عمرها فى إنجلترا، واستعارت لنفسها اسم «ريبكاويست» وصارت ناقدة أدبية وكاتبة سياسية تزود المجلات الإنجليزية والأمريكية بمقالاتها، وأخرجت سلسلة من الروايات النفسية والفصول التى تمتاز بالفكاهة وبقوة الملاحظة ودقة النقد . ولها كتاب ضخم مشهور عنوانه: «الحمل الأسود والصقر الأشهب» وهو يوميات عن رحلة لها فى يوغوسلافيا مع زوجها ، وقد وصف بأنه « تحليل قوى للأزمة الشديدة التى يعانيها الإنسان المعاصر » .

استقلاله من تركيا . وقد وصفهم الذين زاروا بلادهم أيام كان يحكمهم الأجانب ، بأنهم أهل فاقة وخَصَاصة ولا يثيرون اهتماماً ، وذلك لأنهم كانوا فى همّ مخامر من الرغبة فى الفوز بحريتهم فلا يستطيعون أن ينموا شخصيتهم كأمة . ولو أنهم الآن سلبوا هذه الحرية لارتدوا أقواماً ليس فيهم ما يروق ويعجب .

والحقيقة أن العالم لا يمكن أن يكون وحدة بسيطة كالفرد ، ولا معدى عن أن يكون وحدة متعددة الجوانب كالأسرة . والأسرة التى تروق وتكون لها قيمة، تكون مؤلفة من أطفال يؤذن لهم فى أن يكونوا على السجية فى نطاق من النظام . وهذه هى الصورة التى ينبغى أن تكون قبالة عيوننا حين نتدبر العلاقات الدولية ، وإلا صارت الأرض وعاءً ملؤه تراب فارقته الأرواح .

ازرع نجمة

دات ليلة فى أواخر القرن الماضى ، ذهب شاب وعروسه إلى مطعم صغير خامل الذكر فى باريس ليتعشيا . فلما آن أوان توفية ثمن العشاء ، صعق الرجل حين تبيّن أن محفظة نقوده قد سرقت منه ، واشتدّ عليه الألم لما أبى التدل أن يصدّقه ، وساقهما إلى مدير المطعم . فرأى المدير فى الشاب شيئاً ترك فى نفسه أثراً عظيما ، فلما علم أنهما قد ضيّعا أيضاً تذكرة عودتهما إلى فينا ، عرض عليهما أن يقرضهما مالا يكفيهما للسفر .

فقال الشاب : « لن تندم على سخائك وكرمك . وأنا أعدك بأن أذيع اسمك وصيت مطعمك فى أرجاء الأرض . وجلُّ ما أطمح إليه ، أن أؤلف رواية موسيقية (أوبريت) وسوف أجعل مطعمك مسرحاً لأحد مشاهدها » . فتبسم المدير ، وكان كلّ ما يطمع فيه أن يستردّ ماله وحسب .

ولكن الشاب — فرانز لهار — برّ بما وعد . فقد ألّف بعد سنوات رواية « الأرملة المرحة » وضمّنها تلك الأغنية المشهورة عن « قهوة مكسيم » . وكذلك ظفرت « كافيه مكسيم » فى باريس بذيوع الصيت بين ملاهى الليل فى جميع أرجاء الأرض ، لأن صاحبها الرقيق ، أوجين كورنوش ، عطف على مؤلف موسيقى مفلس .

[مجلة « اسمع »]

ذخائر الحكمة

مختارات من باب يترلى تحريره ج . دونالد أدامز
في قسم الكتب من صحيفة "نيويورك تيمس"

نفر من الناس لا يستطيعون أن يتخذوا لأنفسهم أصدقاء . فمن هم ؟ إنهم هم الذين لا يستطيعون أن يكونوا هم أنفسهم للناس أصدقاء . وليس الذى يجعلك تنقم صحبتهم أنهم يفتقرون إلى سعة الصدر أو رقة الحاشية أو حسن العشرة أو كرم الطباع ، بل الأمر على النقيض ، فربما كان فيهم كثير من الخصال تستميل القلوب إليهم ، بيد أن فيهم خصلة تمحق تلك الخصال — وذلك أنهم لا يحفلون بك أقل حفل ، ولا يعبأون برأيك فيهم خيراً كان أو شرًّا ، وإذا لقيتهم لم يستقبلوك ببشاشة ، وإذا فارقتهم أحسست كأنهم أبداً فى غنى عن رفقتك . وليس ذلك منهم فظاظة طبع ولا قلة احتفال ولا شرود ذهن ، وإنما هى أفكارهم يعكفون عليها وحدهم ويستغرقون فيها ، وما أنت إلا بعض هذه الخواطر التى يحصرون فيها أفكارهم تلك .

[وليم هازلت] « مقالات مختارة »

« إن طبيعة البشر ليست من الشرّ والمادية بحيث تنزلها الأحاديث الدائرة على الألسنة ، فإن جداول الماء الجارية على وجه الأرض قليلة إذا هى قيست بتلك التى تنسرب متدفقة فى باطنها ، وكذلك ما نراه بأعيننا من الخير والمثل العليا قليل إذا هو قيس بما هو مكنون فى صدور الناس رجالا ونساء من أشياء لا يفصحون بها أو قليلا ما يفصحون بها . والجنس البشرىّ لا يترقب شيئاً ولا يتوق إليه كما يتوق إلى ذلك الشىء الذى يستطيع أن يطلق له مكنونات الصدور من أغلالها ، ويخرج له الجداول السارية فى باطن الأرض ويجعلها ماء يجرى على ظهرها .

[ألبرت شوايتزر] « من تجاربى وأفكارى »

« ظللت ساعة أفكر فى تلك الجزائر الجديدة التى تظهر للملاح فجأة فى عرض البحر الساجى ، وذكرت ما يظهر فى حياة بعض الناس من أمثال هذه الجزائر الطارئة ، إذ تظهر فى عُرض حياتهم الساجية فجأة تجارب يمتحنون بها ، ويخيل إليهم أنهم ليسوا منها فى شىء . وأكثر من نعرف من الناس يمتلىء قلبه خوفاً من هذه الجزائر ، فلا تكاد

تلوح له من بُعدٍ حتى يسرع صارفاً وجهه إلى جهة أخرى لكى يتفاداها . وما من رجل مهذب إلا وتراه يخشى أن يمتحن بتجارب يخالها ليست من حقيقة نفسه فى شىء ، كما يتصور هو حقيقة نفسه . بيد أن هذا الضرب من التجارب هو وحده التجارب الحية التى يمكن أن تفضى بهم إلى غاية تستحق أن تقصد . والتجارب الجديدة الغريبة التى لا يتوقعها المرء ، والتى تأتى فى أوانها ، هى فى بعض الأحيان شىءٌ جوهرىٌّ لابدّ لحياة المرء منه ، كما لا بدّ للأرض الهامدة من محراث يحرثها .

[كاترين بتلر هاثاواى] « القفال الصغير »

« الإنسان حيوانٌ منهومٌ بالبراعة — منهومٌ بالبراعة فى بدنه ، منهوم بالبراعة فى عقله ، ولا يشبع البتة حتى تطفأ نَهْمته إلى البراعة . والسعادة التى تطمح إليها نفس الإنسان يستحيل أن تتحقق حتى تستيقظ قدرته على الإبداع ، أى حتى تشبع نَهْمته إلى البراعة . وما من شىء مهما كثر من لذائذ العيش التى يجدها عتيدة حاضرة بين يديه ، ولا من مباهج الحياة التى تأتيه من خارج فتبعث فى نفسه المرح — بقادر البتة على أن يكون له بديلا من ذلك الجوع المستعر المركب فى أصل طبيعته ، والذى يجعله مخلوقاً منهوماً بالبراعة .

[ل . ب . جاكس] « التعليم عن طريق التسلية »

إنما مثل من خَبَرَ الدنيا كمثل قوم سَفْرٍ نبا بهم منزل جديب فأمّوا منزلا خصيباً وجَناباً مريعاً ، فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشىء من ذلك ألماً ، ولا يرون النفقة فيه مغرماً ، ولا شىء أحبَّ إليهم مما قرَّبهم من منزلهم وأدناهم من محلهم . ومثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب ؛ فليس شىء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه .

واعلم يابنىَّ أن من كانت مطيَّته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن كان مقيما وادعاً .

[على بن أبى طالب فى « نهج البلاغة »]

لا تزال الطبيعة أقوى مصدر
يرسل الانفجارات المدمرة الطاغية

يوم تفجرت جزيرة كراكتوا

إرنست بهرندت
مختصرة عن "نيتشر مجازين"

امتلأت القلوب رعباً من قوة الانفجارات التى دمرت مدينتى هيروشيما ونجازاكى ، ولكن التاريخ يذكر انفجاراً يفوقها أضعافاً مضاعفة . فالقنبلتان الذريتان دكتا مدينتين ، ولكن الناس الذين كانوا على بضع عشرات من الأميال عنهما لم يشعروا بما حدث .

فلما انفجرت جزيرة كراكتوا ـ إحدى جزائر الهند الشرقية ـ فى ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ عرف العالم قاطبة ما حدث . فدمدمة الانفجار سمعت على بعد ٣٠٠ ميل ، وولد التفجر فى ماء البحر أمواجاً عظيمة وصلت إلى سواحل أربع قارات ، وسجلت آثارها على بعد ٨٠٠٠ ميل . وأحدث موجة من الهواء دارت حول الأرض مراراً ، لا مرة واحدة وحسب . أما ما كان جبلا ارتفاعه نصف ميل ، فقد تحول غوراً عظيما عمقه ألف قدم وقطره أميال كثيرة .

ورسبت الأنقاض الحامية المتطايرة فغطت بقعة من الأرض أكبر من مساحة فرنسا بطبقة يبلغ عمقها مئة قدم فى بعض المواقع واقذف الغبار فى الجو إلى ارتفاع ثلاثين ميلا ، فظل نحو سنة يملأ أطباق الجوّ العالية فوق الأرض كلها تقريباً . ولم يكن ثمة مدن كبيرة على مئة ميل من موقع الانفجار ، ومع ذلك بلغ عدد الذين أهلكهم ٣٦,٠٠٠ من الناس .

وهذا الانفجار الذى كان أعظم انفجار فى التاريخ ، لم يكن لهُ من سبب خفى سوى تلك القوة المعروفة التى تحرك غطاء قدر موضوعة على النار ، غير أن النار المتأججة تحت هذه القدر كانت لابة فائرة فى فجوة طولها ميل ، فحولت ميلا مكعباً من ماء المحيط بخاراً جاوزت حرارته كل حد ، ثم طار الغطاء ، وتفجّرت القدر أيضاً .

كانت كراكتوا جزيرة بركانية مساحتها ١٨ ميلا مربعاً فى مضيق سندة فى جزائر الهند الشرقية بين جاوة وسومطرة .

وفى أوائل ربيع ١٨٨٣ بدرت بوادر تنذر بما أوشك أن يكون ، فتدافع الدخان والبخار من شقوق حدثت فى صخور الجزيرة منذ عهد قريب ، وشق سيل من الحمم طريقاً عريضاً فى دغل كثيف ، ولكن الذعر لم يساور الهولنديين فى جاوة أو سومطرة ، فقد ألفوا نفث كراكتوا ودمدمتها من قبل ، بل أبى الهولنديون فى جاوة أن يعبأوا بقول الكابتن فرزينار الهولندى ، يوم وصل بتاڤيا فى أغسطس وقال إن بركانين جديدين قد ظهرا فى تلك الجزيرة . ففى أندونيسيا عشرات من البراكين ، وعلى كلّ حال فإن جزيرة كراكتوا تبعد عنهم مئة ميل تقريباً .

وقال فرزينار : « بلغت حرارة الأرض مبلغاً أحرق نعل حذائى » ، فقالوا : إذا صح ما روى فما على الأهالى القلائل المقيمين فيها إلا أن يعتصموا بزوارقهم ، ويلبثوا فيها حتى تبرد الأرض .

وقد كان فرزينار آخر رجل أبيض وطىء أرض الجزيرة قبل أن تنفجر . ويومئذ كانت الملاحة فى مضيق سندة قد صارت شاقة ، فارتد كثير من الملاحين على أعقابهم حين رأوا سطح المضيق تغطيه طبقة من الجمر الخامد يبلغ ارتفاعها قدماً . ولكن ربان سفينة شحن أمريكية ، أوصد منافذ سفينته ومخر بها عباب البحر الذى يفحّ فحيح الأفعى . وكان البترول وَسْق السفينة .

ولم يحاول أحد بعده أن يعبر المضيق ، وكانت دمدمة كراكتوا قد تحوّلت إلى زمجرة لا تنقطع سمعها الناس على ساحل جاوة الشرقى . وطفق الناس فى مدينة بوتيزورج التى تبعد ٦١ ميلا عن كراكتوا ، يبحثون عن ملجأ ينفرون إليه مما حسبوه بارقة تتجمع لتنقضّ من جو السماء .

وقد كتب فيربيك فيما سجله من وصف للكارثة فقال : « فى أصيل ٢٦ أغسطس قطع الدمدمة الخفيّة هزيم انفجارات مروّعة ، ثم اشتد الهزيم وازداد توالى الانفجار . فاستولى الهلع على الناس ثم خيم الظلام ، ولكن الناس خافوا أن يناموا . وما كاد الفجر يسفر حتى غلب الهزيم على كل صوت آخر . وقبيل الساعة السابعة ، حدث انفجار عظيم على حين فجأة فزلزلت الدور وتصدعت الجدران . وتفتحت الأبواب كأن يداً خفية قد دفعتها . فهرع كل الناس إلى الشوارع ، ثم حدث انفجار آخر يصمّ الآذان ، وأعقبه سكون شامل ، كأن البركان قد زال من الوجود »

وحقيقة الأمر أن البركان قد زال من الوجود ، فالغازات المتمددة فى جوفه دفعت اللابة الحاميـة الفائرة ، فوجدت لنفسها منافذ فى فوهتى بركانين ، هما البركانان اللذان رآهما فرزينار ، فكان أثرهما كأثر « صمام الأمن » ، إلا أن الضغط بلغ مبلغاً لا يُرَدُّ ، وصارت القوة الهائلة الحبيسة تدفع طبقة من الصخور فوقها تبلغ ثخانتها مئات الأقدام ، فتدافعت الصخور وتمايدت ، وفى مساء ٢٦ أغسطس انشقت كما ينشق مرجل فى جوفه سائل حامٍ مضغوط .

فاندفق سيل من اللابة يزمجر زمجرة تصمُّ الآذان ، تدفعهُ قوة جامحة هى قوة الطبيعة فى ثورتها . وما هى إلا ثوان حتى اندفع ماء البحر إلى الشقّ ، فما كاد يلامس اللابة الحامية حتى تحوَّل بخاراً شديد الحرارة ، فانقذفت فى الفضاء جلاميـد ضخمة من الحجر الأعبـل والسَّبَج فى سحابة من الغبـار والدخان . وعاد ماء البحر فتدفق ليملأ الفراغ ويصارع اللابة المحتشدة ، فتحول بخاراً حامياً متمدداً متفجراً جارفاً أمامه كلَّ سدّ من الصخر يعترضهُ .

ولا يعرف أحدكم مرةً صدَّت هذه الحمم الحامية المنصهرة مياه المحيط ، ولا كم أعادت المياه كرتها ، على أن الغلبـة كانت للماء فى آخر الأمر . وفى ٢٧ أغسطس بلغت مياه المحيط المركز البركانى فى الجزيرة ، وإذا الانفجارات المروعة الأولى ليست إلا توطئة لطيفة للكارثة الأخيرة ، حين انشق قلب جزيرة كراكتوا عن أربعة عشر ميلا مكعبة من جلاميد الصخور قد طارت شعاعاً فى الفضاء .

وحجب وجه الشمس سحاب أسود كالأبنوس ، يشقُّ سواده وميض البرق ، وتراءت سهام النـار المتقاذفة من الجزيرة لبحارة سفينة بريطانية ، هى تشارلز بال ، كانت على أميـال كثيرة من الجزيرة ، فانخلعت قلوبهم ساعة رأوا الجزيرة تتقذف فى الفضاء فوق الأفق ، « كأنها شجرة من الصنوبر يلتمع بين أفنانها شرر الصواعق » ، وغطى وجه البحر المزبد عدد لا يحصى من السمك وقد انقلبت على ظهورها ميتة .

ولم يسمعوا الدوىَّ إلا بعد زمن طويل ، فكان أعلى دوى سمعتـه أذن إنسان . وقد كتب وكيل شركة لويد فى بتافيا التى تبعد مئة ميل عن كراكتوا فقال : « كانت أصداء الدوى المتجاوبة تصِمُّ الآذان ، فصكت كل أذن فى جاوة وسومطرة ، وألقت الرعب فى قلوب صيادى الرءوس فى بورنيو ، وبغتت سكان سهول ڤكتوريا بأستراليا الواقعـة على ١٧٠٠ ميل إلى الشرق ، فحسبوها

قصف المدافع ، وقطعت أمواج الصوت ٢٩٦٨ ميلا إلى الغرب ، حتى بلغت مدينة رودريجز فى جزيرة مدغشقر .

وصحب الصوتَ المدوّى أمواج متوالية من الهواء دارت حول كرة الأرض . وبعد أن انقضى يوم ونصف يوم على الانفجار لفحت الموجة الأولى مدينة لندن من الغرب ، ثم تلتها موجة أخرى فاجتاحت المدينة من الشرق . وظلت هذه الأمواج تدور حول الأرض ، فاكتسحت لندن وبرلين وبطرسبرج ، بنسبة أربع موجات من الغرب وثلاث موجات من الشرق . وظلت على ذلك أكثر من عشرة أيام حتى تبددت قوتها فى الفضاء .

وكان أثر الانفجار فى البحر أعظم كثيراً منه فى الهواء . ففى مدينة أنجر على ساحل جاوة الغربى ، رأى ربان متقاعد جزيرة جديدة تظهر فجأة أمام عينيه فى وسط المضيق ، وما هى إلا لحظة حتى كان يعدو فى طلب النجاة . فلم تكن تلك « الجزيرة » سوى عمود هائل من الماء ارتفاعه خمسون قدماً يعبر نحوه المضيق بسرعة لا تصدق ، فحطم الأرصفة ، وطغى على مدينة أنجر ، وعدا على الجبال ، وسحق كل شىء اعترض طريقه ، وأصاب البحار جِذْلٌ قذفه الماء العرم فغيبه فى الماء ، فلما استرد وعيه ، ألفى نفسه على قمة شجرة تبعد نصف ميل عن مكانه على الساحل ، وقد عُرِّى من كل ملابسه ، ولكن لم يمسسه سوء .

كان هذا الربان أحد القلائل الذين رأوا الموجة ، ثم عاش ليصف للناس هولها ، وكانت مدينة أنجر قد زالت . وقد بلغ ارتفاع الموجة مئة قدم ، فطغت على عشرات من القرى وأهلكت ألوفاً من الناس . أما على ساحل سومطرة ، فقد صدمت الموجة البارجة « بيرون » فقطعت أمراس مرساها واحتملتها مسافة ميلين فوق الجزيرة ، ثم تركتها مطروحة فى دغل يعلو ٣٠ قدماً عن سطح البحر .

واندفعت الموجة فعبرت المحيط الهندى من شرقه إلى غربه ، فلما بلغت مدينة الكاب على ١٥٠٠ ميل ، كان ارتفاعها لا يزال قدماً أو أكثر . ثم دارت حول رأس الرجاء الصالح واتجهت شمالا إلى المحيط الأطلسى على محاذاة ساحل إفريقية الغربى . ثم تلاشت آخر الأمر فى بحر المانش .

وغمر الرمادُ ساحاتٍ واسعة فى أندونيسيا ، وغطى الأدغال وأحال حقول الأرز قفاراً خاوية ، وملأ الفضاء حتى ظل الناس فى بتافيا زمناً فى حاجة إلى إضاءة المصابيح فى النهار .

إلا أنّ ما غمر البرّ والبحر لم يكن

سوى قليل مما نفثهُ البركان ، فقد صار معظم الصخر الجلمود الذى كان فيما مضى جزيرة كراكتوا ، طحيناً كالدقيق انقذف فى الهواء إلى ارتفاع ١٫٥٠٠٫٠٠٠ قدم . وظلت سحبٌ من الغبار البركانى أشهراً منتشرة فى أجواز السماء ، واحتملتها تيارات الرياح فوق المحيطات والقارات . وظلت أشعة الشمس تنفذ إلى سطح الكرة من خلال حجاب نُسجت خيوطه فى أعماق مضيق سندة ، وظل قرص الشمس الغاربة يبدو فى باريس ونيويورك والقاهرة ولندن ، أزرق أو أخضر أو رصاصيًّا أو نحاسيًّا ضارباً إلى الحمرة . أما فى الليل فكان ضوء القمر والنجوم مشوباً بالخضرة .

وقد ظلت هذه الظاهرة حتى ربيع سنة ١٨٨٤ ثم حالت الألوان ، وزال الغشاء الذى كان مردّه إلى انفجار كراكتوا ، وبدا للناس أن الفصل الأخير فى تاريخه قد تم ، وأن بركان كراكتوا قد خمد . ولم يبق من الجزيرة سوى بضعة أميال مربعة من الصخر مدفونة تحت جبل من الرماد . أما النباتات والحشرات والطيور وذوات الثدى ، فقد هلكت فى سحابة من نار .

ثم حدثت معجزة — معجزة عودة الروح والحياة . فبعد انقضاء أربعة أشهر على الانفجار ، رأى نباتى عنكبوتاً لا تكاد ترى بالعين المجردة تنسج بيتها فى فضاء لا ترجو أن تصطاد فيه شيئاً . ويغلب أن الريح احتملتها فألقتها هناك .

وبعد سنوات نبتت الحشائش والشجيرات وظهر الدود والنمل والحيّات والطيور . وقد وصلت على أجنحة الهواء بذور ألقتها الطيور فى طيرانها فوق ذلك القفر اليباب ، وخنافس وفراشات طارت إليها من جاوة وسومطرة . ووصل عن طريق الماء بيض ديدان وزواحف قذفت إلى الشاطىء من الأنقاض الطافية على سطح البحر ، وقواقع وعقارب ركبت إليها متن البحر على جذوع سابحة ، وأفاع وتماسيح سبحت إليها عابرة المضيق ، ومعها طفيليات لصقت بأبدانها .

وقد وصلت النباتات والحيوانات إلى الجزيرة اتفاقاً ، ولكن ترسيخها أقدامها لم يكن اتفاقاً . فقد تم فى أشهر من ظهور الحيوان والنبات ، ما تم مثله فى ألوف من عصور التاريخ ، إذ لم يكن بدٌّ من أن توجد بعض الأحياء أولا ، حتى يستطيع من يليها أن يعيش .

وقد نمت بعض الأحياء وتكاثرت زمناً ما لأنه لم يوجد لها أعداء ولا منافسون . وقد اجتاحت كراكتوا

سنة ١٩١٠ جموع حاشدة من النمل . فما انقضت عشر سنوات أخر ، حتى كاد النمل ينقرض لكثرة الطيور والزواحف . وما كادت سنة ١٩١٩ تحلُّ ، حتى كانت بعض الأشجار قد تأصلت جذورها وصارت فى سنة ١٩٢٤ غابة عظيمة . وبعد بضع سنوات كادت النباتات المتسلقة تقضى على الشجر ، وتحوّل الغابة إلى دغل كثيف يعجّ فيه الفراش والأفاعى وجماهير لا تحصى من الطيور والخفافيش .

وكذلك صارت جزيرة كراكتوا جنة فى نظر علماء التاريخ الطبيعى ، فجعلها الهولنديون أرضاً محرّمة ، ومنعوا كل إنسان إلا العلماء أن يطأها . ووضعوا كشفاً دقيقاً بأنواع الأحياء فيها ، وجعلوا يحصون كل قادم طارىء من الأحياء ، ويراقبون كيف تأتلف مع غيرها وكيف تحترب . بل كشفوا أيضاً ضروباً كثيرة من الحيوان — من الطير والفراش الذى يتميز بصفات خاصة عن كل طير وفراش معروف . فجزيرة كراكتوا ، لم تكن تجتذب إليها الأحياء من الأرض التى حولها وحسب ، بل كانت بقعة تتولد فيها ضروب جديدة من الأحياء أيضاً .

ثم تبين العلماء فى أحد الأيام لوناً جديداً من الحياة ، يضطرب فى ثرى الجزيرة ، فالبركان القديم لم يخمد ، فإن تحت صخورها فجوة تملؤها لابة تبحث لطاقتها عن منفذ وهذا هو قعر البحر يجيش ويميد مرة أخرى ، وهذه كومة كالمخروط تتكون تحت سطح البحر . وفى ٢٦ يناير ١٩٢٨ برز رأسها جزيرة مسطحة بشعة عرضها بضع مئات من الأقدام ، وما هى إلا أيام حتى جرفتها الأمواج .

ومرّت سنة ، وإذا فوهة تقذف بخاراً ورماداً ، وانتشرت أبخرة الكبريت فوق المحيط ، وتغطى سطح البحر بالسمك الميت مرة أخرى .

ولا تزال الفوهة الجديدة حيث هى ، وهى جزء من كأس البركان القديم ، وقد رسب الطين على رأسها ، وفى وسطها ما يشبه الأنبوب — كصمام الأمن يخفف من الضغط الهائل الذى تولده اللابة فى الفجوة الغائرة . ويطلق الأهلون على البركان الجديد اسم « أناك كراكتوا » أى « ابن كراكتوا » ، وليس ثمة اسم أدعى منه إلى التطير والشؤم .

لم يذهب من مالك ما وعظك [حكمة عربية]

نوادر مستطرفة

مختصرة من كتاب "مضحكة" تأليف بنيت سيرف

دخل شاب من الأغنياء العابثين دكان حلاق فى نيويورك ليقص شعره ويطرّف أظافرهُ ، وكانت الفتاة التى تولت تطريف الأظافر بارعة الجمال ، فدعاها إلى العشاء ثم يذهبان إلى أحد المسارح .فقالت: أظن أنهُ لايحسن بى أن أقبل، فأنا متزوجة.

فقال : اسألى زوجك فلا أحسبه يرفض.

فقالت : لم لا تسأله أنت ؟ فهو الذى يحلق لك ذقنك !

ظل رجلان من المزارعين عشرين سنة يلتقيان كل يوم فى مكتب البريد ، وكان كلاهما صموتاً ،فلم يجر بينهما حديث قط أو سلام . وجاء يوم فرأى أحدهما الآخر يمضى متجهاً شمالا على غير عادته طول تلك السنين ، فلم يملك أن سأله : « إلى أين أيها الشيخ » . فالتفت إليه الآخر وقال : « إنه ليس من شأنك . ووالله لولم تكن صديقاً قديماً لما بحتُ لك بكل هذه الأسرار » .

سمح أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكى فى دائرته لكى يعاد انتخابه فخذله الناخبون فنشر بياناً فى صحيفة المدينة التى يسكنها جاء فيه : « أحبُّ أن أوجه الشكر إلى جميع الذين أعطونى أصواتهم،أما زوجتى فتحبُّ أن توجه الشكر إلى جميع الذين أعطوا منافسى أصواتهم » .

فى فلم من الأفلام المخيفة التى يمثل فيها بوريس كارلوف ، ترى عالماً فرَّ من بلدهِ ولجأ إلى أمريكا ، حيث صرف همه إلى صنع مصل يحيى الجماد . فلما صنعه أخذ قليلا منه ووضعه خلسة على تمثال قائد حربى منصوب فى حديقة عامة ، وإذا رعشة الحياة تسرى فى التمثال . وبعد قليل سمعت صلصلة الحديد من مفاصله ، وإذا القائد يتحرك ثم ينزل إلى الأرض . فطار العالم فرحاً وقال للقائد : لقد أحييتك ، فقل الآن يا جنرال ما أول شىء تنوى أن تصنعه ؟

فقال القائد بصوت أجش ، ويده على المسدس المدلى من جيبه : « سؤال سهل ، سأثأر لنفسى بأن أطلق النار على ملايين من هذا الحمام اللعون الذى جعل رأسى هدفاً لأقذاره » .

الزوجتان

دوروثى كانفيلد فيشر

يكن العم « باى » عمًّا لأحد منا ، ولم وكل ما فى الأمر أنه كان زوجاً لواحدة من لِدات أمهاتنا ومن ذوات قرابتنا الأباعد . وإنى لأذكر الآن أننى لم أسمع قط اسمه الكامل لا فى حداثتى ولا بعد أن تجاوزت سن الحداثة ، ولكنى أذكر « العمة بولينا » التى كانت زوجته الأولى . كانت امرأة معتزلة مديدة القامة وسيمة الطلعة ، وكانت معلمة فى مدرسة قريبة من دار جدتى يوم عرفها العم « باى » وخطب ودّها وتزوجها .

وكان العم « باى » عاملا فى أحد مصانع الخشب ، وكان يعيش عيشة راضية خليقة أن لا ينغصها عليه منغص ، فيما علمت ، لو لم تزرهم إحدى صواحب زوجته بعد زواجهما بأعوام قلائل .

ويوم جاءت كان عندها طفلان : صبى صغير وطفلة ، وكان الصبى فى مثل سنى . وقد زادنى معرفة بالأسرة فيما بعد أنْ كنت فى أيام إجازة الصيف رفيقة لهما ألهو معهما ، وجاءت الفتاة الشابة صديقة « العمة بولينا » ونزلت على هذه الأسرة المطمئنة الآمنة . ولم تكن فى الحقيقة صديقة العمة بل ممن تعطف عليهم وتؤثرهم برعايتها ، فقد عرفتها يوم كانت فتاة معدمة تعمل فى بيت بعض المزارعين لقاء اللقمة والمأوى ، فأحبتها وجعلت تعلمها بعض الدروس لتعوضها ما فاتها من التعليم . ولما خرجت الفتاة من البيت الذى كانت تعمل فيه ، جعلت تسعى حتى وجدت لها عملا آخر ، ثم عملا بعده . وكان يومئذ أنْ آوتها « العمة بولينا » بعض الوقت فى فترة من فترات خلوها من العمل .

ولست أدعى أنى أعلم حق العلم جلية هذا الشطر الأول من القصة ، وغاية ما عرفناه نحن الصغار يومئذ أن العم « باى » غاب عن البلدة فى وقت ما إبان الشتاء ، وأن العمة بولينا رحلت فى الربيع التالى بولديها إلى ولاية أخرى لتعلم فى مدرسة من مدارسها .

والذى لاحظناه ونحن صغار ، ولن ينساه أحد منا ، هو ما كان يبدو على العمة بولينا قبل رحيلها ، فقد كانت أجفانها متورمة من أثر الدموع المذروفة التى لم يرها أحد قط . وكانت تسعى فى شؤون معاشها كالعادة شامخة الرأس ، ولكنها كانت لا تكاد تتكلم حتى تسكت لتزدرد ريقها وتتنفس الصعداء وتستجمع قواها ، ثم يخرج الكلام وهو من فرط التجمل والتصبر ظاهر السكينة والرصانة .

وكنا نحس فى ذلك الحين بما أصبحنا نعلمه اليوم بالتجربة — أن فى صوتها الرزين الهادىء ما يكاد ينطق بأن من العواطف التى تختلج فى النفس ما هو أعظم حرمة من أن تجعله عرضة لعيون الناس .

ولم نلبث أن علمنا أن العم « باى » قد تزوج امرأة أخرى ، وأنها كانت تلك الفتاة الوسيمة ذات العينين الدعجاوين التى نزلت عليهما ضيفاً فى العام الماضى . ولم يعد الزوجان إلى البلدة ليزوراها ، ولكن العمة بولينا كانت تزور البلدة بين الحين والحين ومعها ولداها يتوثبان نشاطاً ومرحاً . ولم يجر على لسانها قط ذكر العم « باى » ، وما تتحدث إلا عن دروسها فى المدرسة وعن مستقبل ولديها ، وعن الكتب التى تقرؤها ، وعن المدينة العظيمة التى تعيش فيها (أو هكذا كانت تبدو لها ولنا جميعاً) حتى كدنا ننسى قصتها الأولى . وكل من كان كمثلها فى السيطرة على نفسه ، فقلما يظفرون من الناس بالإشفاق والعطف ، وهم أنفسهم يستنكفون من إشفاق الناس وعطفهم ، غير أن الذى يظفرون به شىء آخر — هو ما كنا نجده لها فى قلوبنا يومئذ ، وإلى يومنا هذا .

وقد اتصل بأهل بلدتنا بعد حين أن العم باى وزوجته الثانية يعيشان فى بلدة قريبة ، وأنه التحق بعمل حسن فى أحد المصانع يتقاضى منه أجراً عير قليل . ثم نُمِى إليهم بعد ذلك أنهما رزقا أولاداً : فتاة وغلامين ، ولكن قلما كان آباؤنا يذكرون اسم العم « باى » ، حتى توفيت زوجته الثانية .

ولقد كثر ذكره بعدئذ من أجل أولاده ، فقد أخذت تتسرب إلينا أخبار موجعة عن كفاح العم « باى » لتوفير أسباب العناية بصغاره ، ولم يكن الرجل بالخليع الفاجر ، وإن كان قد تعدّى مرة ما يعدّه هو نفسه حدود الأخلاق الفاضلة ، فحاول أن يجد لبيته مدبرة محنكة تبلغ من الكبر ما يجعلها فوق الريبة . ولكن أجره الذى كان وافراً حين كانت زوجته هى التى تدبر أمر بيته ، لم يكن ليفى بمعاش الأسرة وبأجر امرأة ترعى له صغاره الثلاثة .

فلما ضاق بأمره ، كتب إلى أهل بلدتنا يسأل عن أسرة ترضى أن تتعهّد له بتربية صغاره ، فلما جاء كتابه استنكره الناس ولهجوا بما كان من خطيئته الأولى . ومَن تلك التى تحب أن تقوم على تربيـة أولاد غيرها ؟ وقد كان أحد الغلامين فى الثانية من عمره والآخر فى الخامسة ، وكانت الفتاة فى السابعة — والصغار فى هذه الأعمار يتطلبون عناية دائبة متصلة ، والأجر المعروض لا يفى بالنفقة ، فضلا عن النصب والقلق وعنت المضايقة . ثم إن البلدة كلها تعرف العمة بولينا وتحبها أعمق الحبّ .

على أن الحوادث فرضت حكمها ، فقد كسرت ساق العم « باى » وهو فى المصنع ونقل إلى المستشفى ، ولم يبق فى استطاعة أحد يحترم نفسه من الأقرباء أو المعارف أن يتخلى عن هؤلاء الصغار ويدع لهم تدبير أمرهم ، فسرعان ماسافر بعضهم وعاد بالصبية واضطلع على مضض بالعبء إلى حين .

وكان الصغار الثلاثة عاطلين مما يحبب الناس فيهم ، فقد كانت « لوسى ماريان » شاحبة الوجه حييّـة سريعة الغضب . وكان الولد الأكبر ، وهو فى الخامسة من عمره ، فاحش اللسان . وكان أصغرهم وهو فى الثانية من عمره عنيـداً غير مهذب وفى لسانه حُبْسة ، وكنا نحن الصغار نكره هؤلاء الطارئين ، وأبينا أن نقبل أن ندعوهم إلى اللعب معنا .

ثم قدمت العمة بولينا فى بعض زيارتها للبلدة إبّـان الصيف ومعها ولداها ، وكانت الفتاة فى الحادية عشرة والغلام فى الثامنة ، وكلاهما ضاحك السن بشوش الوجه موفور العافية ودود المحيا ، وكانوا صـغاراً يأنس بهم كل طفل يلقاهم .

ولقد كنت فى الغرفة يوم رأت العمة بولينا أول ما رأت أولاد العم باى ، وكانت وقتئـذ تتحدث إلى عمـة أبى ، وكانت فى أيديهما إبر الشغل ، فكفّتا حين قدم الأولاد الثلاثة إلى الباب فى طلب حاجـة من الحاجات .

ووقفت الفتاة مطرقة وغمغمت بكلمات خافتة ، وكانت عمة أبى ثقيلة السمع يؤذيها ما تجد من هـذه العاهة ، فقالت محتدة : « بالله عليك يالوسى ماريان ارفعى صوتك ! إنى لا أطيق الأولاد الذين يغمغمون » . وحاولت لوسى ماريان أن تعيد سـؤالها ولـكنّ صوتها ارتجف ، فانكمشت ووقفت صامتة ومن ورائها أخـواها الصغيران الدميان النحيلان يلوذان بثوبها .

وبادرت العمة بولينا تسأل وهى غير محتفلة : « من هؤلاء الصبية ؟ » فلما لم تسمع جواباً علمت من فورها من يكونون .

وتدحرجت من حجرها كبّة الخيط، فتركتها ولم تلق إليها بالا، وحدجت عمة أبى بنظرة حادة وسألتها: « ولكن - أين أمهم ؟ » ، وكان صوتها أشدّ خفوتاً من صوت لوسى ماريان الصغيرة. ولا ريب فى أن عمة أبى الثقيلة السمع لم تسمع صوتها ، ولكنها أدركت السؤال ، فقالت : « لقد ماتت منذ عام ونصف عام » .

وإنى لأتمثل الساعة تلك النظرة العجيبة التى ألقتها العمة بولينا إلى الصغار الثلاثة الواقفين عند باب الغرفة ضعافاً مهازيل ، ثم وضعت ما كانت تحيكه على ذراع مقعدها ونهضت من مكانها وأقبلت عليهم ، وجثت على ركبتها كى يحاذى وجهها وجه الفتاة الصغيرة . وكنت أسمع نبرة صوتها ولكنى لم أتبين ما قالته ، على أننى سمعت بعض أجوبة لوسى ماريان :

« أنا التى تحملهم إلى الفراش كل ليلة . ليس هناك غيرى » .

« حينما يعود إلى البيت يفتح علبة طماطم فنضع الطماطم على الخبز ونأكل » .

« نعم ، قليل ، إذا لم ينسنا بائع اللبن » .

« أحياناً قلائل ، فهما لا يحبان الاستحمام ولست بالكبيرة حتى أستطيع حملهم عليه » .

وإنى لا أستطيع الساعة أن أغمض عينى وأتمثل المرأة المديدة القامة جاثية هناك ، وذراعها تطوق الفتاة الصغيرة وقد سُرّى عنها وأسندت رأسها إلى كتف العمة بولينا .

ولما نهضت العمة بولينا وعادت إلى مقعدها وأخذت خيطها ، كانت تبدو كدأبها ساكنة الجنان .

ولقد قصت على لوسى ماريان بعد سنوات ما جرى بعقب ذلك .

فما إن غادر أبوهم المستشفى وهو لا يزال يُظلع حتى ردُّوا الصبية إليه ، ولقد عاد إلى العمل مع اضطراره إلى اتخاذ عكاز للمشى . إذ كان مثقلا بالديون وفى أمس الحاجة إلى كل درهم يستطيع أن يكسبه . وكان الأب يرجع بالليل ظالعاً إلى بيته القذر الغاص بالآنية غير المغسولة، فيفتح علبة أو علبتين من علب الطعام ويفرغ ما بها فى طبق ، ويشارك أولاده هذا العشاء البارد . وأخيراً بلغ منه الجهد والوهن من جراء كدحه طول اليوم فى عمله وهو لما يزل فى أيام النقاهة .

وفى صباح يوم من الأيام أقبلت العمة بولينا على البيت وأطلت من بابه المفتوح على المطبخ ، وكان الأولاد وقوفاً حول المائدة يتخطفون الطعام من فوقها

وقالت فى سكينة وهدوء : « هيه يا أولاد، آن أن يتعهد شئونكم أحد من الناس . فلننظر الآن ماذا نصنع » .

خلعت قبعتها ولبست مِئزراً ، وأخذت ترفع الأطباق من فوق مائدة المطبخ . وظل الأولاد طوال اليوم يدورون فى أثرها فاغرين أفواههم من التعجب ، وهى تكنس وتدعك البلاط ، وتحرق الكناسة فى فناء الدار . وكانت وهى تطبخ لهم الطعام وتغسل الشبابيك وما إلى ذلك ، تقص عليهم الحكايات والأحاديث .

وكانت تقول للأولاد فى الفترة بين حكاية وحكاية : « هل تستطيع أن تحمل هذا إلى حيث تحرق النفايات ؟ »

« وما قولك فى تخصيص هذه الخزانة لثياب الولدين ؟ » و « أنت يا لوسى ! إنك لفتاة كبيرة الآن . أفلا تستطيعين أن تضعى الأطباق فى مكانها ؟ ولكن فلننظف الرف أولا » .

حتى إذا أزف وقت العشاء كان الأولاد جميعاً قد استحموا ولبسوا ثيابهم النظيفة ، ولم تلق عنتاً ، إذ كانت تقص عليهم من حكاياتها المشوقة وتغنى لهم أغانى الأطفال . وجلس الأولاد على المائدة وعليها مفرش أبيض ، وعلى صدر كل منهم فوطة نظيفة ، وأخذت تأتيهم بالفطائر ، فكلما أنضجت العمة بولينا واحدة منها التهموها .

وأبصرت لوسى أباها مقبلا ثم وقف عند الباب ينظر ، وكانت العمة بولينا مستقبلة الموقد وظهرها إلى الباب تصب شيئاً من العجينة اللينة فى المقلاة . وكانت غلاية الشاى المجلوة قريبة منها ، فمنعها صوت غليان الماء أن تسمع وقع الخطوات الوئيدة المضطربة . ثم التفتت ورأته .

ولقد كان من عادة لوسى أن تقص علينا ما حدث ساعتئذ قائلة : « كانت ذراعه مرفوعة ليغطى بها عينيه ، وكان مسنداً جبينه إلى الثلاجة ، ولا يرى منه إلا ظهره ، وكانت كتفاه ترتفعان وتنخفضان كمن ينتحب » .

وكنا نبتدرها فى كل مرة بالسؤال : « وماذا صنعت العمة بولينا ؟ » ، ونحن نعلم حق العلم ماذا صنعت .

فتجيبنا لوسى : « آه ، لقد قالت ببشاشة غير متكلفة : لقد حضر العشاء ، يا باى ، اجلس فكل ، فقد أكل الصغار . وهذا طعامك قد احتفظت به ساخناً فى الفرن : سجق وبطاطس مهروسة . وسيكون الشاى مهيئاً بعد لحظة » .

وهكذا تزوجا ثانية وقاما على تربية الأولاد جميعاً . ولزمت العمة بولينا البيت ، إذ كان الصغيران فى حاجة إلى من يتعهدهما ، وكانت تزيد دخل الأسرة بما تناله من القيام على بعض الدروس الخاصة . ثم لم تلبث

أن ولدت للعم « باى » مولوداً آخر : فتاة .
ولقد روت لنا لوسى أنها لم تسمع جدالا محتدماً بين الزوجين إلا يوم أرادا تسمية هذه المولودة . فالعم « باى » يريد أن يسميها بولينا ، وأمها لا تريد ذلك محتجة بأنها ما أحبت قط هذا الاسم الجافى الذى تقادم العهد عليه . وكان يلذّ للوسى أن تمضى فى الحكاية فتقول : « ولكن أبى كان يصيح فى وجهها : إنه أجمل اسم فى الدنيا . وسيكون اسمها بولينا ولو قامت فى وجهى جهنم أو اعترضنى الطوفان » . وقد سميت كذلك .

ولم يكد الولد الصغير « كليم » وبولينا الصغيرة يدخلان المدرسة مع الآخرين ، حتى عادت العمة بولينا إلى التدريس ثانية .

ولقد كان دخلها ودخل العم باى يكفى نفقة أسرة كبيرة مؤلفة من ثمانية، وأتاح لهم اتخاذ فتاة تقوم بخدمتهم ، وجعل فى طاقتهما أن يدخرا من المال لتربية الأولاد وتعليمهم .

وكانت العمة بولينا إذا جاءت تزور بلدتنا هى وأولادها فى إجازة الصيف ، لا يجرى على لسانها ذكر شىء من هذا كله ، وبذلك قطعت ألسن المتسائلين . ولم يكن أحد من أهل البلدة يشير إلى الأمر أى إشارة ، والواقع أنه لم ينقض إلا قليل حتى نسى هذا الأمر .

ولما شب الأولاد وكبروا كان معظم الناس يظنونهم جميعاً أولادها .

ولقد كانوا كذلك ، فنشأوا جميعاً نشأة صالحة ، وحُقّ لهم ذلك .

دخل شيخ من أهل الجبال عيادة طبيب ووراءه شاب طويل نحيل ، وقال « أرجوك يا دكتور أن تداوى صهرى ، فقد أطلقت عليه النار أمس فأصيب فى ساقه وهو يعرج عرجاً قليلا » .

فقال الطبيب : « تبّاً لك كيف تطلق النار على صهرك ؟ »

فقال الشيخ : « لم يكن صهرى حين أطلقت النار عليه » .

[مجلة « وول ستريت »]

oo..ooo..oo

أتذكر البحار الذى سئل ما فعل بمرتبه فقال : أنفقت بعضه فى الخمر ، وبعضه على النساء ، وأما البقية فقد أنفقتها إسرافاً وإتلافاً ؟ !